ولي المظفر ففرح الناس به لكنه أقبل على اللهو والشغف بالنساء حتى وصلت قيمة حظيته المسماة (إنفاق) مائة ألف دينار، وصار يحضر الأوباش يلعبون بالمصارعة بين يديه. وكان جلوسه على التخت في مستهل جمادى الآخرة سنة (٧٤٧) فبقي سنة وأربعة أشهر، وخلع في ثاني عشر شهر رمضان سنة (٧٤٨) وكان قتل جماعة من أكابر الأمراء، فنفرت عنه القلوب، واستوحش منه بقية الأمراء. وكان كثير اللعب بالحمام، فلامه على ذلك بعض أكابر أمرائه فقال له: اذبحها، فذبح الأمير منها طيرين، فطار عقل السلطان وقال لخواصه: إذا دخل إلي فبضعوه بالسيوف، فبلغه ذلك فأخذ حذره منه. ثم اجتمع الأمراء إلى قبة النصر، فبلغ ذلك المظفر فخرج في من بقي معه فلما تراءى الجمعان حمل عليه أميران، طعنه أحدهما، وضربه الآخر فقتلاه، ثم قرروا أخاه الناصر حَسَن في السلطنة.

١٢٢

(حَامد بن حَسن شَاكر الصَّنعاني)[1]

نشأ بصنعاء، وأخذ عن جماعة من أكابر العلماء، كالسيد العلَّامة صَلاح بن الحُسين الأخفش، والسيد العلَّامة هاشِم بن يَحْيى الشَّامي، والسيد العلَّامة أَحمد بن عبد الرَّحْمَن الشَّامي، وغيرهم. وأكبَّ على علم الحديث غاية الإكباب، حتى فاق فيه. وشارك في سائر الفنون مشاركة قويةً، وانتفع به الناس في الوعظ. وكان له في الجامع حلقة كبيرة يحضرون عليه لسماع وعظه، ولوعظه وقع في القلوب لما هو عليه من الزهد والتقشف وعدم الاشتغال بالدنيا. وقد أخبرني جماعة ممن أخذ عنه أنه كان فقيراً قانعاً يلبس الثياب الخشنة، ويباشر شراء حاجاته بنفسه، ويتواضع في جميع أموره. وكتبه مضبوطةٌ غاية الضبط، ولا يضبط إلّا عن بصيرةٍ، حتى صارت مرجعاً بعد موته، وله مؤلفات دالة على سعة حفظه للحديث، وإتقانه لهذا العلم، رأيت منها (الأنموذج اللطيف في حديث أمر معاذ بالتخفيف) وله شرح لعدة الحصن الحصين ليس على نمط الشروح، بل يكتب أحاديث ولا يشتغل بالكلام على أحاديث العدة لا تخريجاً ولا تفسيراً، وقفت عليه بعد شرحي للعدة، وجمع حاشية على ضوء النهار للعلَّامة الجلال، وصار تارة يرجّح ما في ضوء النهار وتارة يرجّح ما في حاشيته «منحة الغفار» للعلَّامة السيد مُحمَّد الأمير، ولكنه ليس بمتقن لعلم الأصول وسائر العلوم التي يحتاج إليها من حرّر المسائل. وأما بالنسبة إلى ما يرجع إلى متون الأحاديث

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣/ ١٧٨؛ هدية العارفين: ١/ ٢٦٠؛ نبلاء اليمن: ١/ ٤١٨؛ الأعلام: ٢/ ١٦١.

والكلام على أسانيدها فهو قليل النظير. وقد أكثر من التعقبات في تلك الحاشية لما في حاشية الأمير. وله رسائل ومسائل. (مات) رحمه اللَّه فجأة في بضع وسبعين بعد المائة والألف. وسمعت من يروي عن السيد العلَّامة مُحمَّد بن إسماعيل الأمير أنه قال لما بلغه أن صاحب الترجمة يجمع حاشية على «الكشاف»: إن على «الكشاف» حاشية السعد، وحاشية صاحب الترجمة ينبغي أن يقال لها «حاشية الشقب»، والشقب في لسان أهل اليمن عبارة عن مقابل السعد وهو النحس. وكان السيد المذكور يتحامل عليه لما بلغه أنه يتعقب حاشيته المتقدم ذكرها. روى لي ذلك من عرف الرجلين رحمهما اللَّه تعالى وإيانا.

(١٢٣)

(الحَسَن بن أحمد بن صَلاح اليُوسفي الجَمالي اليَماني المعروف بالحيمي)[١]

أحد أعيان دولة الإمام المؤيد باللَّه بن القاسِم، وأخيه الإمام المُتوكّل على اللَّه، وهو من أكابر العلماء وأفاضل الأدباء، وكان يقوم بالأمور العظيمة المتعلقة بالدولة ثم يشتغل بالعلم درساً وتدريساً. وكان يوجهه الإمام المتوكل على اللَّه في المهمات لفصاحته ورجاحة عقله وقوة تدبيره. فمن جملة ما بعثه إليه من المهمات إرساله إلى حَضْرَمَوْت لما وقع الاختلاف بين السلاطين آل كثير، فقام بالأمر أتم قيام، وصلحت الأمور بحميد رأيه وجميل عنايته. ووجهه أيضاً إلى سلطان الحبشة لما وصلت إليه منه كتب تتضمن رغوبه في الإسلام، ويطلب وصول جماعة من آل الإمام إليه ليسلم على أيديهم، فتوجه في نحو خمسين رجلاً، وركب من بندرِ المخا، ثم توجَّه من هنالك ولاقى مشاقاً عظيمة، واستمر في الطريق سفراً وإقامةً نحو تسعة أشهر، فوصل إلى سلطان الحبشة في يوم عيد للنصارى، فدخل على السلطان لابساً شعار الإسلام من الثياب البيض. وكان السلطان غير مُريدٍ لما أظهره في كتبه من الرغوب في الإسلام، بل معظم قصده المراسلة كما يفعله الملوك. وأنه يريد إصلاح الطريق. فلما استقر صاحب الترجمة في مدينة السلطان أضافه وأكرم أصحابه وأراد أن يخلع عليه خلعة حرير خالص وسوارين من الذهب فقال له: هذا لا يحلّ في شريعتنا. وكان لصاحب الترجمة في تلك البلاد صولة عظيمة حتى كان أصحابه يبطشون بالنصارى إذا تعرضوا لهم ويضربونهم. وشاع عند الحبشة أن العرب الذين هم أصحاب المترجم له يأكلون

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ٢٩٢؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٢٢؛ معجم المؤلفين: ٣/ ١٩٩؛ تاريخ آداب اللغة: ٢/ ٢٩٥.